

كلمة

هذه الدراسات كانت مدخلى إلى تراثنا الأدبى العربى المزدحم بالكنوز ، وأنا على صلة بهذا التراث منذ شبابه المبكر ، لكننى كنت أكثر اتصالاً بجانبه الشعرى وقتئذ ، حيث كنت أحلم بأن أنصرف إلى كتابة الشعر ، وإن كنت قد اطلعت فى ذلك الوقت على كتب مثل كليله ودمنة ، والمكافأة وحسن العقبى ، وبعض القصص الشعبى مثل ألف ليلة وليلة ، فلم تكن كتابة القصة أيضاً بعيدة عن أحلامى . فلما أتيح لى أن ادرس الفلسفة بالجامعة تبين لى جانب هام آخر فى هذا التراث ، فقرأت قراءة منظمة تاريخ الفلسفة الإسلامية ، ولكنى فى الوقت نفسه اكتشفت الفلسفة الغربية ، وكان عودى قد اشتد فى لغة أولغتين أجنبيتين فأقبلت على قراءة الفكر الغربى : فلسفته وأدبه ، حتى خشيت ذات يوم أن تقع غربة بينى وبين تراثنا العربى ، كما أثار انتباهى أن كثيراً من شبابنا ممن لهم محاولات أدبية بعيدون كل البعد عن جذورهم فى الفكر العربى ، وإنه ربما كان السبب فى ذلك ظنهم أنهم لن يجدوا فى هذا التراث إلا أفكاراً لا صلة لها بعصرنا مكتوبة بلغة بعيدة عن أفهامهم ، فأردت أن أكشف لهم - ولنفسى قبلهم - جوانب هذا التراث الإنسانية ، وكيف أنه تناول أرق الموضوعات بأرق لغة ، وأن الفكر الإنسانى - ومن بينه التراث العربى - ليس إلا سلسلة متصلة الحلقات ، كل حلقة منها مهدت لما يتلوها ، واكتشفت - فيما اكتشفت - أن فى هذا التراث محاولات مبكرة عبقرية لما يعرف اليوم بعلم النفس ، فهو وثيق الصلة بما نتداوله اليوم من شئون هذا العلم .

وحين جمعت هذه الفصول بين دفتى هذا الكتاب وجدت أنى كنت بين منهجين :

منهج الدراسة ، ومنهج التقديم ، ففي الوقت الذى كنت أحاول فيه أن أقوم بدراسة ما أعرض له من موضوعات ، كنت أحرص أن أقدم للقارئ أفكار من أعرض لهم بأسلوبهم حتى يستطيع أن يكون رأياً له عن هذا التراث بطريق مباشر دون كبير تدخل ، وحتى يدرك أنه ليس جافاً على النحو الذى يتوهمه ، وحتى يدرك طوعية اللغة العربية للتعبير عن أدق الخلجات النفسية ، وأن ما يقال عن قصورها ليس إلا قصوراً من متكلمها في التعرف عليها والألفة بمفرداتها وتراكيبها .

ثمة سبب آخر لتجاوز منهج التقديم مع منهج الدراسة ، وذلك أن كثيراً من أدبائنا سبق أن أشاروا إلى ما تعرضت له من موضوعات في هذا الكتاب - كما هو واضح مما رجعت إليه من مراجع - لكن دون أن يفرّدوا له المؤلفات التى تجعل القارئ على معرفة سابقة بمادة كافية يمكنه أن يتابع على أساسها أية محاولات دراسية لهذا كان على أن أقوم بالمهمتين مهمة تقديم المادة ، ومهمة دراستها .

يرتبط بذلك سبب ثالث ، هو عدم وجود فهرس بموضوعات تراثنا العربى ، وأن المسألة ما تزال متروكة لاجتهاد الباحثين ولئن كان بروكلمان قد قام بمجهوده المشكور فى وضع فهرس لمؤلفى العربية ومؤلفاتهم فإننا ننتظر أن تقوم هيئة عربية بوضع فهرس بالموضوعات التى تناوّلها التراث ولعل وجود دائرة معارف عربية يكون خطوة نحو هذا الفهرس حيث يمكن إثبات مراجع كل مادة من مواده . لهذا فإن الدارسين يقومون حالياً بمهمة مزدوجة ، مهمة جمع المادة والتعرف عليها والتعريف بها ، ثم مهمة دراستها وفى كثير من الأحيان لا يتيسر ذلك لعقلىة واحدة فيغلب عليها أحد الطابعين ، وحتى إذا توفر ذلك لعقلىة واحدة فإنها تكون مشتتة بين جمع المادة من مظاهرها ودراستها .

وبعد ، فالكتاب ينقسم إلى ثلاثة أقسام أولها دراسة الحب فى التراث النثرى العربى تناولت فيه عدداً من المؤلفات التى اقتصر على تناول هذا الموضوع فى الفكر

العربي ، دون أن أعرض للناحية الفلسفية أو الصوفية منه ، فقد تناولها أكثر من مؤلف قبلي . كما أني اهتممت بجانب النثر دون جانب الشعر لأنني أعتقد أن الجانب النثري لم يلق الاهتمام الواجب ، بينما جانب الشعر قد احتفى به الكثيرون فيما يعرف بدراسة الغزل في الشعر العربي . أما القسم الثاني فيتناول الصداقة في تراثنا العربي ، وأخيراً عرضت عرضاً سريعاً لأهم الآراء المعاصرة في موضوع الحب والزواج والطلاق ، فالفكر الإنساني فكر مترابط متكامل ، والفكر العربي أحد روافده التي غذته وتغذيه . وقد حاولت أن أوضح هذا - كلما وجدت إلى ذلك سبيلاً - في بعض فصول القسم الأول من الكتاب ، بينما لم يتضح ذلك في القسم الثالث ، لأن ما به من فصول وإن نشرت في نهاية الكتاب إلا أنها من أوائل ما كتب ، بل إن البدء بها هو الذي أغراني بالبحث عن مقابله في التراث العربي فيما بعد .

وقد سبق أن نشرت في عام ١٩٦٦ كتابي « دراسات في الحب » ، والكتاب الحالي يشمل ما سبق نشره في ذلك الكتاب بعد إدخال كثير من الإضافات والباب الثالث كله .

وأخيراً فإني أرجو أن يحقق الكتاب ما رجوته له .

أولاً أن يجمع بين الاهتمام بتراثنا الثقافي والاتجاهات الفكرية المعاصرة ، فليس الاهتمام بالتراث قرين التخلف الفكري كما يعتقد البعض ، وليس الإيمان بالاتجاهات الفكرية المعاصرة معناه إنكار هذا التراث كما يتوحيس البعض الآخر .

كما أأمل أيضاً أن يحقق هذا الكتاب ما أرجوه له من الجمع بين الجدد والطرافة كما يدل عليه عنوانه ، فهو « دراسات » ولكن « في الحب والصداقة » .

الكفاح من أجل الحب

نحن نخطئ حين نظن أن مجرد الرغبة في الحصول على الآخر يمكن أن نسميها باسم الحب إن اللحظة التي فيها تستيقظ أرواحنا لنحس بحاجتنا إلى إنسان آخر يشاركنا كفاحاً واحداً في الحياة ، هي اللحظة التي نتهياً فيها للحب لكن بين مجرد هذا التهيؤ وبين الحب خطوات لا بد لها من الكفاح حتى نقطعها كاملة وناجحة .

فمن هذه الرغبة التي تقف بين كل شخصين يتلاقيان في الحياة حتى اللحظة التي يلتصق فيها جسداهما معاً ، توجد خطوات ليست طويلة ولا شاقة بالقدر الذي نتوهمه ، لكنها تحتاج إلى كفاح وإلى حذر وإلى لباقة ، وإلا ضاعت منا كل جهودنا في اللحظة الأخيرة .

فنحن حين نلتقي بشخص ما ، ويكون لدينا هذا التهيؤ الطبيعي المقدس للحب ، ونحس أننا نريد الحصول عليه ، ندرك تماماً أننا لا بد أن نجعله هو الآخر يريد الحصول علينا ومن أجل هذا يبدأ كفاحنا والحصول المتبادل هنا هو الذي يفرق بين الحب والحالات الأخرى التي تتدرج ما بين شراء المرأة (كما كان يحدث في مجتمع القبيلة وكما لا يزال يحدث حتى اليوم - أو ربما شراء الرجل) وهذه العاطفة المتأججة الحزينة الناتجة عن إحساس دائم بالتهيؤ لحب شخص لا نحصل عليه . ونحن حين نلتقي بهذا الشخص ، قد ندرك في وضوح ضرورة وجود هذا الحصول المتبادل ، وهو إدراك قد يكون من النظرة الأولى وقد يكون بعد سلسلة طويلة من العلاقة والممارسة ، لكننا ندرك أيضاً أننا لا يمكن أن ندفع عليه مشاعرنا وعواطفنا مرة واحدة وفي أية لحظة ، بل لا بد من الانتظار والصبر ، ثم الاستمرار والإصرار . . . ونحن نبذل هذا الجهد من أجل أن ترتفع الغشاوة أولاً بيننا وبين الآخر ، هذه

الغشاوة التي هي مجموعة من التقاليد ومن الماضي الخفي الممتد حتى الطفولة ، ومن الآمال والأحلام التي يملكها كل شخص بحكم انفراده وعزله ونحن نترع هذه الغشاوة في رقة ولباقة حتى لا نصطدم بما يمكن أن يقف عقبة في سبيل الوحدة التي نهدف إليها ولهذا فنحن نعد أنفسنا لكافة الاحتمالات ونوقن من أول الأمر أننا سنبلغ ما نريد . ونحن نجيد التوهم حين نتخيل أن العالم والغرباء يستطيعون أن يشاركونا أفراحنا ومآسينا ، وعندما نتخيل أن إنساناً واحداً رقيقاً ولطيفاً جداً سيستمع إلى أناتنا ونحن نضع رأسنا المهموم في حضنه الحي الخافق الدافئ لكن إلى أى حد يصمد هذا التوهم ؟

علينا أن ندرك أولاً في وضوح أن الآخرين يشبهوننا ، ولذا فهم يتمنون - مثلما نتمنى - إنساناً يحمل عنهم بعض ما بهم ونحن ندرك هذا حين نرى إنساناً يأتي مطمئناً إلينا واثقاً فينا شاكياً لنا وطأة ثقله ، لكننا لا نرحب كثيراً بهذه اللحظات ، بل نحن نبحث عن يكون المعجزة في حياتنا ، عن ذلك الساحر الإلهي الذي سيسقي أمراضنا بلمسة أو بسمه ونهى دائماً أنفسنا لمجيئه ، حيث نجد في هذا التوقع تعزية وسلواناً .

وفي تقاليد هذا المجتمع الذي نعيش فيه أن للرجل فرصة أوسع مما للمرأة ، فله أن يحصل على من يريد تبعاً لقيمة وتقديراته وعواطفه ، فهي لا « تختار » إلا في دائرة من يختارونها (ولو أن هناك بطبيعة الحال حالات لا تخضع للسياق العام) ولا شك أن المرأة تحس بنوع من الغبطة الخفية كلما بدا لرجل أن يريد لها ، حتى ولو لم تكن هي لتفضله أو تقبله في حياتها ، يكفي أنه جعلها مرغوبة ومحبوبة ، أما الرجل فإن سروره العميق يبدأ بعد ذلك حين تعبر له المرأة عن تجاوب عواطفها مع عواطفه .

لكن الأمور لا تسير سهلة ، إن المرأة تريد أن تستوثق أولاً هل هو يريد لها حقاً ؟ لماذا تراه وقف في حياته عندها دون غيرها . . بينما الرجل يكون قد تطلع إليها

يريدها أن تعوضه عما فقدته في الحياة ، وهو يتساءل : لماذا تراها قبلتني في حياتها ؟ هل لأنني الوحيد الذي عبرت لها عن مشاعري ؟ أم لأنني ذو مال أم لى بعض الذكاء أم بعض الشهرة ؟ وكل هذه الأسباب لا تطمئن الرجل الذى يريد الجواب أن يكون تبلورا لهذا جميعه فيصير : لأنها تحبني .

لكن كثرة الفتيات في هذا المجتمع يتحركن وقد أحسنن على أنفسهن وطأة ثقيلة من التقاليد والعادات يرضين بها وترهقهن محاولة انتزاعها أو الثورة عليها . والمجتمع لا يكون على صورة قالب خارجي فحسب نرتديه كلما تعاملنا مع الناس ، بل هو يتغلغل إلى أعماق الفرد فيمتزج بها ، لهذا فإن الجراءة تبدأ من الداخل على شرط أن تنتقل أخيراً إلى الخارج . ففى عالم الحلم نستطيع أن نثور على الواقع كيما شئنا ، والشخص الإيجابي هو وحده الذى يعبر من مرحلة الحلم الثورى إلى مرحلة الفعل الثورى .

إننا نريد المرأة التى لا تشاركنا حياتنا فحسب ، فهذا مجال ، رغم جماله ، إلا أنه مجهد أناني ، إننا نريد المرأة التى تشارك في البناء الحضارى ، حيث لم تساهم في ذلك حتى الآن إلا بنصيب ضئيل . ونحن لا نستطيع حقاً أن نتجاهل تلك المهمة التى قامت بها الأنثى وحدها خلال التاريخ ، مهمة الحمل وما يستتبعه الحمل من الرضاعة ، تلك المهمة التى ربطتها بالطبيعة وجعلتها تعانى تجربة ما يمكن لرجل أن يحياها . لكن هذه المهمة تكاد تكون متصلة باستمرار الكيان النوعى أكثر مما هى متصلة بتصميم البناء الحضارى ، لهذا وجدنا أن محاولة المرأة المشاركة في البناء الحضارى تسير جنباً إلى جنب ، مع محاولة التخفف شيئاً فشيئاً من هذه المهمة التى لم تشغل الرجل يوماً ما ، مما أتاح له أن يتفرغ لمساهمات أكثر صلة بجوهر البناء الحضارى . وحقاً كانت الفرص - ولا تزال رغم ما حصل عليه - فرصاً قليلة . ومع ذلك فتحن نأمل أن نحصل على نساء يشاركننا في استيعابنا للحضارة والمساهمة في حركتها العامة . وهى تساعدنا على ذلك

بما تهيئه لنا من لحظات جميلة وجو عاطفي يؤكد لنا في كل لحظة جمال الإنسانية وخصوبتها ، ثم يجدها الشخصى في مشاركتها للتراث الحضارى ، فنحن هنا لا نريد الحصول على مجرد الجسد ، فهذا ما لا يحتاج إلى كفاح ولا إلى خطوات . وهذا قد يشبع لذة الجسد ، لكن الروح ستعود حزينة ، إننا نريد هنا أن تبلغ الأنانية قممها فتحصل على الروح والجسد معاً .

والناس لا يعيشون في مستوى روحى واحد ، هناك من يعيشون في المستوى الحسى أو المستوى الاجتماعى ، فلا ينظرون للأشياء والحركات والعلاقات ولا يقيمونها إلا من خلال ما تقدمه لهم من ملاذ حسية أو من تقدير اجتماعى . وهناك من يعبرون هذه المستويات لأن لهم قيمهم العقلية التى يتشبثون بها . وهؤلاء يرون أن محاولتنا الحضارية هى أن يحتل الفهم العقلى أكبر مساحة ممكنة في مجال الحركة الإنسانية ، وأن يطارد التشبث باللامعقول حتى أبعد الحدود . ومع ذلك فإن العلاقة العقلية التى تقوم بين اثنين لا يمكن أن تبرر لهما ذلك الامتزاج المجنون الذى يربط كلا منهما بالآخر حتى الموت . إنهما يأملان أن يعبرا من مرحلة هذا الفهم النسبى القائم على العقل إلى الحركة العاطفية القائمة على الإيمان . وهكذا يتسرب اللامعقول مرة أخرى من خلال المعقول ، والمطلق من خلال النسبى . وبدخول الإيمان في العلاقة بين الشخصين تسقط الحركة الإرادية عنهما ، وهكذا فإن ما يبدو أنهما فعلاه بمحض اختيارهما في أول الأمر ، لا يستطيعان الخلاص منه إذا هما حاولا ذلك من جديد . وهناك أشخاص لا يقدرّون خطورة هذه اللحظة الحاسمة في تاريخهم ، التى توضع جنباً إلى جنب مع ولادة الفرد وموته ، فيقطعون في الشوط خطوات ، ثم يبدو لهم أن يراجعوا . . . وقد تبلغ بهم المحاولة البائسة أن يقطعوا علاقاتهم بالآخر فيبدو للعالم كله أنه لم تعد ثمة صلة قائمة ، ومع ذلك فهم يدركون في قرارة نفوسهم أنهم يخدعون العالم والآخر وأنفسهم ، لأن مصيرهم قد ارتبط به إن حباً وإن كرهاً .

وإذن ففى هذا الكفاح تساعدنا طبائعنا بجانب عظيم . فليس كل شىء يتم إرادياً كما نحسب أول الأمر ، بل إن أغلب ما يحدث يكاد أن يتم تلقائياً بعد الدفعة الأولى ، يعيننا على ذلك ما فى نفوسنا من تهيؤ للحب ورغبة فى الآخر ، ثم الرعاية الدقيقة لكل ما يحدث . فنحن نبدأ نتوهم أولاً أن الأمر يجب أن يخرج من دائرة الاختيار إلى دائرة الضرورة ، فلم نعد نستطيع أن نختار هذا دون ذاك ، بل ليس أمامنا إلا هذا الإنسان ، فقط هذا الإنسان . وبهذا نسد أمامنا كل إمكانية للتراجع ، ونفعل ما فعله طارق لجيوشه حين أحرق الأسطول الذى حملهم فأصبح البحر وراءهم ، ولم يكن بد من أن يتقدموا ، ولو أننا لا نحب أن نشبه الحب بالغزو كما يحلو لبعض المفكرين المهمجين . لكن الانتقال من الاختيار إلى الضرورة يستتبعه حتماً سلسلة من اللوازم . فإلى جانب سقوط الحركة الإرادية ، نجد أن الغربة التى بيننا وبين من نحب قد سقطت فحونا ماضيه وحاضره ومستقبله ، بينما نحاول نحن من جانبنا أن نجعله يحوى كذلك ماضينا وحاضرنا ومستقبلنا . فمن أهم « القواعد » هنا أن يسير الاثنان خطوة خطوة ، والويل لمن يسبق أحدهما الآخر . فإذا حدث أن بلغ أحدهما اللحظة التى فيها يتوهم أن الآخر على استعداد لأن يعطيه نفسه ، بينما يكون هذا الآخر لم يكد يبدأ أولى خطواته ، فإن تصرفات الواحد لن تكون معقولة ولا مستساغة لدى الآخر ، مما يجعل بانفصالهما المحزن المهل .

ونحن لا نستطيع أن نتقدم إلى الآخر ونقول له : أرجوك أن تعبنى . فحين يخرج الصياد الماهر - على حد تشبيه د.ه. لورنس فى قصته الثعلب - لصيد غزال ما فإنه حين يراه لا يقول له : أرجوك أن تقع صريع رصاصتى . فحين يسمع الغزال هذه الكلمات يعدو بعيداً بعيداً . بل إن الصياد يختار الوقت الملائم ، ويخرج فى الصباح ، فى الفجر ، متسللاً فى خفة وحذر ، ويجهد ، من أجل أن يحصل على الغزال أخيراً . وهذا هو ما ندعوه باسم الكفاح من أجل الحب .

ونحن حين نكافح من أجل الحصول المتبادل ، نجد أننا نميز شيئاً فشيئاً ذلك الإنسان الذى أحبيناه ، ونحاول إقناعه بأننا نتميز عن الآخرين أيضاً . . . بل نحن نكون كذلك حقاً فى اللحظة التى يكون فيها هو أمامنا بل فى اللحظة التى تمر بنا صورته . ويحاول كل منا أن يدرك العلاقة التى بيننا على نحو متميز مقدس رائع غريب ومفرح وحزين . وهكذا نكافح معاً من أجل أن نتسج خيوط الشبكة الحريرية حولنا ، شيئاً فشيئاً . . . حتى تجدنا ذات يوم عريانين تماماً ، الواحد أمام الآخر ، بلا خجل ولا خطيئة .

إن الصداقة ، والعلاقات العائلية ، والصلوات الفكرية ، كلها - فيما عدا الأمومة - تكون بمقدار ، وكلها لا تستطيع أن تزيل آخر ركن من أركان الأناية فى نفوسنا . وفى كل هذه العلاقات نحس بوجودنا واضحاً ، ونحرص دائماً على ألا نُلغى ، ونعطى بقدر ما نأخذ ، ونأخذ بقدر ما نعطى . لهذا يظل الإحساس بالتكامل واضحاً ، ولا نستطيع تحطيمه كى تنتشر انتشاراً تاماً فى هؤلاء الآخرين . أما الحب ، فهو يثور على هذا المعنى المستمر للعلاقات التى لا تريد أن تندفع إلا بمقدار . ويهتر وجودك فى عنف وأنت تنتشر فى الآخر ، وتصبح أنت فى الآخر وهو فيك بحق ، ويحس كل منا أن الآخر جزء منه متحرك فى العالم الخارجى . وتلك هى المرة التى فيها يشعر الإنسان أن تكمله قد امتد فشمل آخر ، بحيث يبدو لهما أن العالم يواجههما معاً . إن الحب يقوم فى نهايته على الإيمان ، وما لم أؤمن بالإنسان الآخر فأنا لم أحبه بعد .

وليست العلاقة الاجتماعية هدفاً على الإطلاق ، بل هى لون من ألوان العلاقة قد نقصد إليها يوماً كى نرفع عنها فكرة العبث من أذهان الآخرين ، ولو أننا نعرف فيما بيننا أن الحب هو وحده الذى يرفع العبث عن كل علاقة تقوم بين الجنسين . فقد تقدم امرأة شفتيها لرجل لا تحبه ، وأخرى قد تقدم جسدها لرجل تحبه ، والفرق بين

المزتين أن الأولى عابثة ساقطة والأخرى مخلصه جاده . وهكذا يقرر الحب أخلاقية العلاقة أمام صاحبها ، ويقرر الزواج أخلاقية العلاقة أمام الآخرين .

وموقف التردد بين الزواج وعدم الزواج ، ذلك الموقف الذى عبر عنه كيركجورد وارنفرع به فى نطاق روحى شامل لا سيما فى كتابه « إما وإما » هو - حتى اليوم - موقف الرجل . أما مجال التردد لدى المرأة فهو مقتصر على تفضيلها هذا الرجل عن ذاك . وهذا وضع طبيعى للأمور كما هى الآن . فموقف الرضا أو الرفض من الزواج نفسه هو موقف الجنس الذى بيده الدور الإيجابى ، أما المرأة التى ليست لها حتى اليوم إلا النصيب السلبى ، فهى لا تفكر فى التردد حيث إن الزواج هو الدليل الوحيد أمام المجتمع على أهليتها للحب أو على أهلية أنوثتها بوجه عام ، بينما هو لا يفسر على هذا النحو لدى الرجل . ولئن كانت مشكلة الوحدة هى الحاجة إلى الحب ، فإن مشكلة الوجود مع الآخر هى ضرورة الحب ، وهكذا بين الوحدة والعلاقة بالآخر تستحيل الحاجة إلى ضرورة .

وهنا نلمح فارقاً جوهرياً فى الموقف الروحى لكل من المسيحية والإسلام ، ففى المسيحية عليك أن تريد أولاً وتختار ، فإذا تم الزواج فقد انتقلت من دائرة الإرادة والاختيار إلى دائرة الضرورة إذ لا مجال للانفصال ، أما فى الإسلام فبالزواج يبدأ الدور الحقيقى للإرادة والاختيار ، وهذا هو المعنى الروحى لإباحة الطلاق فى الإسلام ، فالمعرفة الحققة هنا لا تتم إلا بالزواج ، فوجود الطلاق كإمكانية فى الزواج الإسلامى يعنى أن استمرار الزواج هو فى كل لحظة هنا استمرار متصل لحركة إرادية فى ارتباطك بالإنسان الآخر . ومع أننا لسنا بسبيل المفاضلة بين الموقفين ، إلا أننا نستطيع أن نلخص الموقفين فى صورتيهما المطلقتين بقولنا : إنه بحصول الزواج فى المسيحية يبطل دور الإرادة والاختيار ، وبحصول الزواج فى الإسلام يبدأ الدور الحقيقى للإرادة والاختيار ، وبين هذين الموقفين يقف الناس وتقف الشرائع الحديثة على أبعاد مختلفة ، فهم مسيحيون أو هم مسلمون بقدر ما يرجحون أحد الموقفين على الآخر .

ولكن الأمر لا يقف عند هذا الحد ، فالحب - كالحياة - ليس هدفاً نبغفه وننتهى عنده ، كلا بل هو ممارسة مستمرة وحياة وكفاح من أجل الاحتفاظ بما حصلنا عليه من قبل ، ومن أجل ما يمكن أن نحصل عليه في المستقبل . ففى الألفة ثمة خطر مضاعف عن كل ما كان من شأنه أن يحطم كفاحنا من قبل . وما أفضح هزيمة المنتصر ، ذلك الذى لا يجيد فن الاحتفاظ بعد الحصول . فإذا فتر كفاحنا الروحى فى فترة ما ولسبب ما ، فإننا سنخسر كل شئ ، وتصبح محاولة التخلص من الحب ، والكفاح من أجل التخلص من الحب مهمة أشق تكاد تكون مستحيلة التحقيق . ذلك لأن كفاحنا من أجل الحب - مهما كان حذرا ولبقا - فإنه لا يتحفظ - ولا يمكنه أن يتحفظ - ليوم فيه قد يتراجع . وببكاراة العاطفة يجب أن ندرك ثروتها وإلا قامرنا بها فى غير وعى فى تجربة واحدة قاسية مفزعة مسيطرة ، فنخرج وقد أفلسنا من الإيمان والتحمس والتفاؤل لكى نحيا فى نوع من العريضة اليائسة المحطمة أو التحرك البليد المستسلم .

إن الحب ليس هبة تهبط علينا من السماء ، بل هو جهد جميل نتطور به من أجل أن نقرب الاقتراب الذى به يصبح كل منا ضرورة للآخر ، وهو ليس علاقة مجردة ، بل هو هذه اللحظة أو تلك بما حوته من كلمات وأفعال ، بل حتى بمجرد صمتها الرائع .